عفريتة المرآة

رحاب عيسوي

-أين نظارة القراءة؟ لقد تركتها على المنضدة و لكن لا أراها في مكانها، لا أستطيع القراءة بدونها، أخيرًا وجدتها ها هي حسنًا سأرتديها، الآن أستطيع القراءة بوضوح

ما هذا؟هذه ليست غرفتي، إنها خالية من الأثاث و من الاضاءة أيضًا، أشعر و كأن هناك أشخاص كثيرون معي بالغرفة، لا أراهم و لكن أسمع أنفاسهم، أشعر بحركاتهم، و كأن أيديهم تحاول الامساك بي و تخنقني من رقبتي، سأخلع النظارة و أنظفها جيدًا ثم أرتديها مرة أخرى.

ما هذا؟ كل شيء بمكانه، الأثاث كما هو و الإضاءة شديدة وواضحة، لابد أن أصابني ألم برأسي لعدم ارتداء النظارة جعلني أتخيل بعض الأشياء، الساعة تدق الثانية عشر بعد منتصف الليل، لابد أن أنام الآن كي أستطيع الاستيقاظ مبكرًا، ما هذا الصوت؟ من الذي يحاول أن يفتح باب الغرفة ؟

أنا بمفردي بالمنزل، وأسرتي في عزاء أحد أقاربنا بالأرياف و لم أذهب معهم لانشغالي بالمذاكرة، ربما والدي عاد من السفر حتى لا يتركني بمفردي بالمنزل، و لكن والدي يطرق باب الغرفة قبل الدخول، من تلك السيدة التي تقف عند الباب، و لماذا انطفأ النور ثانيًا فجأة؟

obeikandl.com

إنها تقترب مني بخطىٍ هادئة، لا أستطيع أن أميز سواد وجهها من سواد ملابسها؛ فكلاهما أشد ظلمة من الآخر و الشمعة الحمراء التي تمسكها بيدها تضيء ومضًا خافتًا؛ لا يجعلني أميز ملامح وجهها، إنها تتجه إليَّ و تسألني بصوتٍ هاديء :-

-لماذا تسهرين إلى الآن يا "أمل"؟

-من أنتِ ؟!

-اذهبي إلى سريرك، و سأوقظك قبيل الفجر للصلاة و استكمال المذاكرة.

لا أستطيع التقاط أنفاسي، أشعر بدوارٍ شديد، إن وجهها مرعب مليء بالبقع و الحروق و رغم الهدوء الذي تتكلم به، إلا أن صوتها به حدة التهديد و الوعيد، و عادت تصرخ في وجهي قائلة:

- اذهبي لسريرك و سأوقظك!
- نعم، نعم، سأفعل.
- الآن ، انهضي.

إنها اختفت، لابد أنني أهذي، لا يوجد أحد بالمنزل سواي و الإضاءة عادت تملأ جدران البيت، لابد أنني مرهقة، سأنام الآن و أستيقظ عند الفجر لاستكمال المذاكرة، سأذهب إلى سريري، أشعر بالطمأنينة و الدفء و أنا أغمض عيناي و ألقي بجسدي أسفل أغطيتي الثقيلة.

ما هذا؟! ما الذي يحاول أن يرفع يدي لأعلى؟ لابد أنني الذي أحركها، لا إنها ترتفع بفردها دون أن أحركها، ما هذا ما الذي يجذب قدمي لأسفل؟ أشعر بيدين

تمسك أقدامي و تجذبها لأسفل ثم تمسك ذراعي، و ترفعه لأعلى، أنا استيقظت و لكن من الذي يحاول ايقاظي بذلك العنف؟

الحمد لله أسمع أذان الفجر لابد أن أنهض لأصلي، ولكن سأصلي بعد الانتهاء من المذاكرة، أخيرًا انتهيت من المذاكرة و سأبدأ في إعداد نفسي للذهاب للكلية، أولًا أمشط شعري الذهبي الطويل، ثم أضع مساحيق التجميل على وجهي ناصع البياض، كل مستحضرات التجميل و أيضًا المشط موجود على مرآة الحمام، سأجهز نفسي أمامها، أه لقد سقط مني المشط أسفل المرأة ، لقد التقطته و سأعاود التمشيط أمام المرآة، هه؟ من هذه التي أراها في المرآة؟ من تلك الفتاة التي تنظر لي بكراهية هكذا؟ نظراتها حادة بل مرعبة لا أستطيع تحملها، من تلك الفتاة ، هه أنها أنا! نعم أنا، لا إنها تشبهني فقط ولكنها أجمل بكثير، أرى شعرها أطول و أكثر كثافة من شعري إنه مثل شعر عرائس البحر، أراها ناصعة البياض، لامعة العينين، بوجهها نضارة غير بشرية، أراها تشبه الملائكة كما لو كانت قرينتي الملاك إنها تسألني:

- ماذا تفعلين يا أمل؟!
- أمشط شعري، و أستعد للخروج.
- وأين شعرك هذا؟ إنكِ صلعاء!

-ما هذا أين ذهب شعري، أحسسه بيدي ولكن لا أراه حين أنظر في المرآة!

-و لماذا ترتدين ذلك الفستان قصير الأكمام هل لتظهري جمال ذراعيك الناصعة البياض؟! انظري في المرآة إنهما أسودان يتدليان من كثرة التجاعيد بهما!

- ما هذا؟! ما الذي جعل ذراعي بهذا القبح الفظيع؟

- و لماذا تضعين كل تلك المساحيق على ذلك الوجه الدميم، فمهما تضعي لن تخفي قبح وجهك!

- إن وجهي جميل؛ لقد فزت بملكة جمال الجامعة ثلاث مرات متتالية!

- ولكن، لا أرى هذا انظري في المرآة.

- ما هذا؟ ما تلك الحبوب السوداء و البنية ذات الرؤوس الحمراء القذرة التي تملأ وجهي و رقبتي ؟ ما أقبح ذلك الوجه! و ما تلك البقع والحروق التي تجعلني أبدو كسيدة عجوز قد جاوزت الخمسون بعد المائة؟ لماذا أبدو دميمة هكذا؟

- كم تستغرقين من الوقت يا "أمل" في تمشيط شعرك ووضع مستحضرات التجميل التي تجعلك أكثر جمالًا مما أنت عليه؟!

-من نصف ساعة إلى ساعة تقريبًا أو ربما أقل!

-وكم تستغرق من الوقت لأداء فريضة الصلاة؟

-حوالي عشر دقائق تقريبًا.

_و لماذا لا تصلي يا "أمل" ، لقد حاولت ايقاظك أكثر من مرة لأداء فريضة الصلاة، لماذا تحرمين نفسك من جمال الروح يا أمل؟ جمال الروح الذي نستمده من صلاتنا، من صلتنا بالمولى عز و جل، جمال الروح الذي يجعلك جميلة في الدنيا و الآخرة، غريب طبعك يا ابن آدم تنشغل بالنعمة عن المنعم، و بالعطية عن المعطي، كثرة المساحيق ستحولك لصورة السيدة السوداء التي أمرتك بالنوم وترك المذاكرة و الصلاة، لو نظرتِ خلفك سترينها، ولكن كثرة الصلاة ستحولك إلى الفتاة الجميلة التي تحدثك الآن من المرآة، انظري أمامك و خلفك ولكِ حرية الاختيار!

- لا ..لا ..لا أريد أن أكون دميمة، أنا أكره القبح والدمامة، لا..لا..لاأريد أن أصبح قبيحة، لا!

-أمل ، أمل، استيقظي حبيبتي، لماذا تنامين على أرض الحمام؟ لماذا تصرخين هكذا و أنتِ مغمضة العينين؟!

- أمي، هل عدت من العزاء؟!

- نعم حبيبتي، لم أستطع تركك بمفردك، و لكن لماذا تنامين في الحمام؟ و لماذا كنت تصرخين هكذا؟ هل رأيت كابوسًا؟

- كابوس! لا أعلم، لا أعتقد، إنه ليس كابوسًا، أنه مجرد انذار، انذار من ضميرٍ حيّ أو انذار من "عفريتة المرآة"!

obeikandl.com